الحب في القرون الوسطى والحديثة

ملخصة من كتاب للعالم فنك بقلم جناب نسيم افندي برباري

قضي على المرأة ان تُسام الخسف والذلّ في القرون الوسطى فكان ذلك ضربةً على الحبّ لفحت زرعهُ فذوى ولعلّ ما حمل اهالي تلك الايام على اذلال المرأة هو ما وصلت اليهِ المملكة الرومانيّة في اواخر مدتها من الانحطاط الادبي والفجور حتّى اضطرّ المصلحون ان يتطرفوا في الاصلاح فحرموا المرأة مما خوّلها اياهُ الله من الحقوق واثاروا عليها نيران الاضطهاد وكانوا يتهمون النساء بالسحر والعرافة وما اشبه وبانهنّ سبب كل بلية . وقد جاء في امثالهم ما يأتي

يجب ضرب النساء والخيل
المرأة والمال سبب كل الشرور
لا تأمن المرأة ولو ماتت
يحفظ النساء من الاسرار ما لم يصل اليهنّ

غير ان الله الحب لم يكن ليتركهُ بين ايادي مَن لا يرعون لهُ ذمة ولا ميثاقًا فاقام لهُ اناسًا وكّل اليهم حراستهُ فحافظوا عليهِ حتّى اوصلوهُ سالمًا الى الاعصر الحديثة فنما وايفع في ظل التمدن الحديث . وهؤلاء الحرّاس هم الفرسان الذين اشتهروا في القرون الوسطى وكانوا مثال الشهامة ولم يكونوا يحصلون على رتبهم الاّ بعد ان يقسموا اليمين المغلظة بانهم يحمون الارملة واليتيم ويحترمون المخدرات غير ان هذه الايمان لم تكن وحدها كافية لان تحملهم على اقتحام المخاطر ارضاء للنساء بل كانوا مدفوعين الى ذلك بميل طبيعي للحرب فكانوا يجولون ايام السلم من مكان الى آخر يبارزون مَن لقوهُ ويهجمون على القرى والدساكر وكلٌّ منهم يتوخّى مرضاة امرأة من النساء فيكرمها اكرامًا يقرب من العبادة ولو لم يكن قد رآها وباسمها يجوب الجبال والاودية حتّى اذا التقى بفارس آخر طلب اليهِ ان يعترف علنًا بانها اجمل خلق الله فان ابى الفارس الثاني ذلك حكّما بينهما السيف البتّار ومَن غُلب منهما ارسلهُ الغالب اسيرًا الى سيدتهِ محمولًا برسالة حبية

وكانت هذه العادة شائعة في اسبانيا وجنوبي فرنسا ثم انتقلت الى المانيا فأتقنوها شأنهم في كل شيء واشهر هؤلاء الفرسان فارس المانيا اسمهُ الرك فون ليشتنستين ولد سنة ١٢٠٠ وكان من حداثتهِ كلفًا بحب النساء فاختار سيدة من الاشراف وقضى حياتهُ في خدمتها .

حكي عنهُ انهُ كان يشرب الماء الذي تستحم بهِ وكان يجالس المجذومين ويشرب من آنيتهم اطاعةً لامرها ولم يذكر زوجتهُ في اشعارهِ الّا عرضاً اذ قال انهُ كان يرجع اليها لتضمد جراحهُ وتمتني بهِ حتّى يشفى

وشارك الفرسان في حفظ جرثومة الحب في القرون الوسطى اناسٌ من الشعراء نشأوا في فرنسا والمانيا . وكانوا يترددون على القصور يحملون اخبار البلاد ويتغنون بوصف نساء القصور التي يترددون عليها . وكان الاشراف يفتخرون بتشبيب هؤلاء الشعراء بنسائهم . ومن امعنَ النظر في اشعارهم رأى فيها ما طرأ على مركز المرأة الادبي في الهيئة الاجتماعيّة وكيفيّة نمو الحب الحديث . ففي اشعار المتقدمين منهم ما يدلُّ على انهم كانوا يحتقرون النساء وان ذوات الخدر والدلال كنّ طوع امرهم بخلاف المتأخرين الّذين يظهر من اشعارهم انهم كانوا يتذللون للنساء ولا يرون منهنَّ الّا الصدَّ والاعراض . وقد ظهرت حينئذٍ اول امارات الشغف اذ ان المتغزّل بهنَّ كنَّ في المدة الاخيرة فتيات غير متزوجات

اما مقام المرأة فكان قد ارتفع قليلاً فصارت ترافق الرجل في الصيد وتحضر معهُ في اماكن اللهو والالعاب لتفرّق الجوائز على مستحقيها . ويظهر ان النساء كنَّ يقدّرنَ المغنين قدرهم ويعترفنَ بما لهم من الفضل في وصفهنَّ فانهُ لما توفي هنريك فون مسيمن المغني الجرماني الذي لُقّب "بمادح النساء" حمل النساء جثتهُ وقت الجنازة وسكبن الخمر على نعشهِ حتّى امتلأ المكان وكان ذلك سنة ١٢١٧

الحب الحديث

اتفق علماء البيولوجيا على ان التقلبات التي تطرأ على الفرد الواحد في نموهِ عقليًّا وجسديا هي نفس التقلبات التي طرأت على الجنس باجمعهِ . فاول محبة الولد تكون لامهِ ثم لابيهِ واخوتهِ ثم لاصدقائهِ ثم يخامرهُ الغرام فيتملك عليهِ وقد ظهرت درجات الحب بين الناس على هذا النسق فاولها كانت المحبة الوالديّة ثم الابويّة ثم الاخويّة ثم الصداقة التي استوفت نموها في زمان اليونانيين ثم الشغف او الغرام العجوبة هذه الايام

وقد تقدم معنا وصف لوازم الشغف وقلنا ان بعضها لم يكن معروفًا عند القدماء ثم ظهر تدريجًا سائرًا مع التمدن الحديث . وغنيٌّ عن البيان ان البعض الآخر كان معروفًا اولاً ولكن على غير الصورة التي نراهُ عليها اليوم . وهاك وصفًا موجزًا لكل ذلك

الصد والدلال . ان ما نراهُ اليوم من الصد والدلال ناتج عن اربعة اسباب

الاول عادة قنص النساء القديمة . فان المرأة لما كانت تقتنص وتشترى كسلعة كانت

تهرب غالبًا من وجه طالبها وتمتنع عن قبوله. وقد طبع هذا الشعور في نفسها حتّى انها لا تزال ترفض طالبيها بقوة غريزيّة

الثاني ثقل احمال الزواج. فان الفتاة تعلم انها ستفقد حريتها وتمسي خادمة لزوجها واولادها

الثالث الحياء وذلك لانهُ قد شاع ان الفتاة التي لا تظهر التمنع عند عرض الزواج عليها تكون سليطة وقحة

رابعًا التظاهر بما يثير غرام الرجل على حدّ قول الشاعر

تزيدني كلفًا في الحب ان منعت احبُّ شيء الى الانسان ما مُنعا

وتأثير الصد والدلال في اماتة حب النساء ظاهرٌ فان غرس العواطف اذا أُهمل توقف نموُّهُ وآل امرهُ الى الدثور فكيف لو لحقه حرور الصدّ وسموم التظاهر بخلاف الباطن. وقد بيّنا سابقًا ان النساء قد نزعنَ الى هذه العادة ابتغاء لشغف الرجال بهنّ ولم يَدْرين انهنّ بعد الزواج يضطررن ان يطرحنَ رداء هذا التظاهر فاذا لم يكن لهنّ سلاح آخر يتذرّعنَ بهِ اهمل الرجل امرهنّ. وقد ادرك ذلك فتيات المتمدنين اليوم فثابرن على تحصيل المعارف حتّى ضاهينَ الرجال وقدنهم اليهنّ صاغرين بعذوبة حديثهنّ ورقة معاشرتهنّ وهو سلاحٌ يدوم معهنّ حتّى الممات. ولا ينكر على الفتاة موانستها جميع الناس على حدٍّ سوى كما لا ينكر على الوردة نشر طيبها وتضوعهُ في الارجاء. ومعاشرة النساء الفاضلات افضل مهذب للاخلاق وقد كانت سببًا في اصلاح شأن كثيرين في ديار المشرق قديمًا كما في ديار المغرب حديثًا. قيل لاحد العلماء ان ابنك قد عشق فقال الحمد لله الآن قد رقّت حواشيهِ ولطفت معانيهِ وصلحتْ اشارتهُ وظرفتْ حركاتهُ وحسنت عباراتهُ وجادت رسائلهُ وحلت شمائلهُ

وقيل ان بهرام جور ملك الفرس رزق ولدًا ساقط الهمة فاشار عليهِ العلماء ان يداويهُ بالعشق فسلّط عليهِ الجواري حتّى كلّف باحداهنّ فامرها الملك بالتنحي عنهُ والتغول بانها لا تطلب الاّ رفيع الهمة ذا الرغبة في العلم فاصطلحت احوالهُ وكان من اعظم الملوك الذين حكموا الفرس

الغيرة. وهي شعور يتولد في الانسان عند ما يرى حبيبهُ يحب شخصًا آخر اكثر منهُ. وعلماء النفسية العقليّة اليوم يوافقون على ما قالهُ احد القدماء وهو ان مَن لم تحامرهُ الغيرة ليس مشغوفًا فان وجود الشغف يقتضي وجود الغيرة بخلاف الغيرة فانها توجد حيث لا شغف

كغيرة الوالدين اذا رأوا اولادهما يحبون شخصاً غريباً . والغيرة موجودة ايضاً بين الوحوش فان الذكور تتقاتل على الاناث والى ذلك نسب دارون ما امتاز به الذكور من القوّة . وبعض المتوحشين لا يعلمون من هذا الشعور شيئاً وبعضهم تشتد الغيرة فيهم الى حد يفوق الوصف

ذكر سنانلي ان نساء قبيلة لانفا من قبائل افريقية يشوهنّ وجوههنّ واجسامهنّ بسبب غيرة الرجال . ولعلّ هذا ما حمل الصينيين على تشويه ارجل نسائهم حتّى لا يستطعنّ الجولان . ومما تقدم يتضح ان الغيرة قد تقوى على محبة الجمال حتّى ان الرجل قد يضحي جمال امرأته بسبب غيرته عليها

والغيرة بين المتمدنين عامة كثيراً ولكنها ليست خشنة كما هي بين المتوحشين ومن اغرب انواعها الخوف من امر يأتي اي ان يغار الرجل على زوجته مخافة ان تصير لآخر بعده حكي ان فلاحاً روسياً طاعناً في السن احتضر فدعا امرأته وكانت فتية وطلب ان يقبلها فلما تقدّمت منه عضّ شفتها عضاً شديداً ولم يتركها حتّى فتحوا فمه بآلة حادّة . ثم اقرّ وهو في حال النزع انه اراد بما فعل ان يشوّه وجهها لكي لا يتزوجها احد بعده

اما الغيرة عن الماضي فقليلة لان اكثر الرجال لا يمتنعون من الاقتران بفتاة كانت مخطوبة لغيرهم والنساء ايضاً لا يمتنعنّ عن قبول رجل قد اشتهر بحب النساء له بل قد يفضلنه على غيره

التلغراف بلا سلك

قلنا منذ سنة من الزمان "ان الاستاذ نقولا تسلا تمكّن من تنويع الكهربائيّة وجعلها تخترق الجدران وتنير المصابيح وهي غير متصلة بها ولا يبعد اننا نتمكن عن قريب من ارسال الكهربائيّة من مكان الى آخر بدون اسلاك وبدون موصلات" ثم شرحنا هذا القول بعد اربعة اشهر في الجزء السابع من السنة الماضية ووصفنا تجارب الاستاذ تسلا بالتفصيل ولم يدر في خلدنا ان هذه النبوّة تتحقق قبل ان يحول عليها الحول فقد نبّهنا الآن جناب المستر فلوير مدير عموم التلغرافات المصريّة الى مقالة في هذا الموضوع نشرت في جريدة التيمس في الشهر الماضي ووصفت فيها تجارب المستر بريس رئيس المهندسين والكهربائيين في ادارة البريد ببلاد